

ترجمة المخزون الثقافي

في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية

in the Algerian Novel Written in French Dimension The Translation of the Cultural

ط. رحمونة بن طيب*

أ.ت.ع. محمد داود**

تاريخ الاستلام: 08 / 08 / 2020 / تاريخ القبول: 11 / 11 / 2020

المكافئات على أنها مكونات لسانية وثقافية، وبالتالي فإن اهتمام المترجم الأدبي لا يقتصر على التراكيب اللغوية فحسب بل ينصب اهتمامه أيضا على البنية الثقافية للنص، لذلك لا يجب على مترجم النصوص الإبداعية امتلاك مهارات لغوية فحسب، أي إتقان اللغتين المعنيتين، الأصل والهدف، وإنما يتطلب منه أيضا مهارات أخرى معرفية وثقافية إلى جانب مكتسباته اللغوية. يسعى هذا المقال إلى معالجة موضوع لا يقل أهمية عن الدراسات اللغوية للترجمة هو دراسة ترجمة المخزون الثقافي في النصوص الأدبية وبالخصوص في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

كلمات مفتاحية: اللغة؛ المخزون الثقافي؛

الترجمة الأدبية؛ الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية؛ المترجم الأدبي.

ملخص: يبرز دور الترجمة الفعال في التواصل والانفتاح على الآخر نظرا للتعددية اللغوية والثقافية السائدة في العالم، فكل لغة تشكل أداة يتواصل بها المجتمع، كما تمثل الحاضنة التي تحتضن الموروث الحضاري للمجتمع. لقد سمحت الترجمة للناطقين بمختلف اللغات بالانفتاح على العالم وباكتشاف الآخر الغريب والمختلف عن الذات، وبالتعرف أيضا على مختلف الطبوع الفنية والأجناس الأدبية من روايات وقصص وأشعار ومسرحيات.. وإذا كانت الترجمة تقوم بدور الناقل للثقافات عبر اللغات، ففي نقل النصوص الإبداعية يتم التعامل مع

* معهد الترجمة - جامعة وهران 1، الجزائر، البريد الإلكتروني:

rahmounab3@gmail.com (المؤلف المرسل)

** معهد الترجمة - جامعة وهران 1، الجزائر، البريد

الإلكتروني: md_daoud@yahoo.fr

على حدة، "إن التّرجمة الأدبيّة رغم أنها تتقل المعلومات لكنها تركّز أكثر على القيمة الجماليّة للعمل الأدبي، على هذا يصبح بإمكان المترجم الأدبي الاعتماد عن النّص الأصلي، لذلك فهو أكثر حرّيّة من المترجم العلمي ما دام ابتعاده عن النّص لا يشوّه الرّسالة المقصودة."⁽¹⁾
(شاهين: 1998: ص98)

فالتّرجمة الأدبيّة لا تتوقف عند ترجمة اللغة أي الدوال والمدلولات على اعتبار أنهما وجهان لعملة واحدة وإنما للرموز التي تحيل على ما يحيط باللغة من معطيات ميتالغويّة تسهم في حسم فعل اتخاذ القرار لدى المترجم، فتتقل كل الحمولة الثقافيّة التي تتضمنها اللغة، كما تتقل الجانب الذاتي من النّص، لأن النّص الأدبي ليس عبارة عن فكرة فحسب، وإنما ينطوي على أفكار كاتب وأحاسيسه وتجاربه صيغت بأسلوب فني قصد أن يكون عمله جيدا ومثيرا حتى يرقى إلى مستوى الإبداع الحقيقي، فحين يخوض الكاتب تجربة التّأليف فهو يجد نفسه مقيدا بالموضوع الذي يفرض عليه لغة الكتابة وأسلوبها، ففي هذا المجال يقول رولان بارت

Roland Barthes":

« L'écriture est une fonction : elle est le rapport entre la création et la société, elle est le langage littéraire transformé par sa destination sociale, elle est la forme saisie dans son intention humaine et liée ainsi aux grandes crises de l'histoire ».⁽²⁾(BARTHES : 1972 : 18)

Abstract: The linguistic and cultural pluralism prevalent in the world helps translation to have an effective role on communication and openness up to the others. Each of these languages does not only constitute a tool through which peoples communicate between each others, but it embraces also the cultural heritage of the society. Translation helps also the speakers of different languages to open up to the other peoples and to know their different types of literature.

And if translation plays the role of transmitter of cultures across languages, in transferring literary texts, the equivalents are treated as linguistic and cultural components; thus, the literary translator's interest is not limited to linguistic structures only, but he focuses also on the cultural structure of the text. Therefore; the translator of literary texts should not only possess linguistic skills, but he should also master the two languages concerned, the original and the target ones. Besides, his linguistic acquisitions, he should have other cognitive competence. Therefore, the aim of this paper is to analyze a domain no less important than the linguistic studies of translation, which is the study of the cultural dimension in literary translation; especially, in the Algerian novel written in French.

Keywords: language; cultural dimension; literary translation; Algerian novel written in French; literary translator.

1. مقدّمة: يُقصد بالتّرجمة الأدبيّة ترجمة

النّصوص الإبداعية سواء كانت شعرا أم نثرا ، هدفها هو نقل الشّحنة الانفعاليّة مع المحافظة على الشّكل الفني الذي يميز كل نص أدبي

« La finalité d'une traduction consiste à nous dispenser de la lecture du texte original. »⁽⁴⁾ (LADMIRAL : 1994 : 15)

وإذا أخذنا "بفرضية ثنائية" فردينا دي سوسير (Ferdinand de Saussure) الذي يميز بين اللغة Langue والكلام Parole في قوله: "إن اللغة في وقت واحد هي إنتاج للكلام ووسيلة له، ولكن هذا لا يمنع كونهما شيئا متميزان كلياً، الواحد عن الآخر... فالكلام - في الواقع - عمل فردي، يختلف عن اللغة التي هي منظومة اجتماعية. لكن لا بد من التأكيد على أن اللغة لا يمكن أن تظهر إلا ضمن الكلام، ولا ريب أن اللغة والكلام مرتبطان بشكل وثيق، وهناك تأثير متبادل بينهما".⁽⁵⁾ (أسعد مظفر الدين الحكيم: 1989: ص44). نجد أنه أثناء عملية ترجمة النص الأدبي فإن المترجم يتعامل مع كلام المؤلف أي تجاربه وأحاسيسه وإيديولوجياته وأسلوبه في الكتابة وغيرها من المعطيات التي تتعلق بالجانب الذاتي للمترجم.

ومن الطبيعي أنه عندما ينقل المترجم الخطاب الأدبي بكل ما يحمله من شحنة انفعالية وجمالية وثقافية، فهو يريد بذلك أن يأتي بنص يكون في مستوى النص الأصلي نفسه ويحمل التأثير الذي حمله النص الأصلي على متلقيه عينه، لكن الانتقال من لغة إلى لغة أخرى ليس بالأمر الهين خاصة بالنسبة لمترجم النص الأدبي بحيث أنه ينتقل من بيئة ثقافية إلى بيئة ثقافية أخرى، تتميز كل منهما بخلفيات لغوية وثقافية مختلفة عن غيرها، فحسب جورج مونان Georges

فالكاتب حسب رولان بارت تعتبر وظيفة، فهي تمثل العلاقة بين الإبداع والمجتمع، كما تمثل اللغة الأدبية التي يحولها الاتجاه الاجتماعي، فهي أيضا الشكل الناتج عن رغبتها الإنسانية والمرتبطة بذلك بأكبر الأزمات التاريخية.

إن البحث عن مكافئ للنص الأصلي في الترجمة الأدبية يعد من أصعب الأمور إشكالا، لأن المترجم تقابله صعوبات عديدة أثناء نقله للعمل الإبداعي بحيث يجد نفسه بين محاولة الاحتفاظ بالمعنى من جهة وإنتاج نص يرقى إلى مستوى النص الأصلي من جهة أخرى. تبدو هذه المسألة عملية صعبة للغاية، لأن إيجاد نص يكافئ النص الأصلي شكلا ومضمونا يتطلب من المترجم جهدا كبيرا. فالترجمة الأدبية ليست عبارة عن "عملية إبدال كل لفظ بما يرادفه أو يقاربه في اللغة الأخرى، فهذا غير ممكن في كل مرة، وإذا أمكن في البعض كان في الغالب غير مصيب لروح المعنى".⁽³⁾ (علوش: 1990: ص231)

ومن المعروف أن استراتيجية الكتابة والإبداع التي ينخرط ضمنها مترجم النص الأدبي تجعل منه في المرحلة الأولى مفسرا ومحللا لسياق خطاب النص الأصلي، وتعد هذه المرحلة في الحقيقة من أهم مراحل العملية الترجمة، لأنها تهدف إلى تحقيق الأمانة في النقل "فالفأية من الترجمة" حسب جون روني لادميرال (J.R.LADMIRAL) هي "أنا نفهم النص المترجم دون الرجوع إلى النص الأصلي"

للترجمة، هو دراسة البعد الثقافي في الترجمة الأدبية وبالخصوص في الترجمة الروائية ونخص بالذكر الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية.

وانطلاقا من هذه المعطيات، فإن إشكالية بحثنا تكمن في ترجمة المخزون الثقافي في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وما هي الطرق والأساليب المستخدمة في نقل الألفاظ والعبارات التي تحمل شحنة في هذا النوع من النصوص الأدبية؟

وعلى ضوء هذه الإشكالية، حاولنا في هذا البحث معالجة الجوانب النظرية والتطبيقية للصعوبات التي تعترض عملية ترجمة البعد الثقافي في الرواية الجزائرية من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. ولمراعاة الجانب الموضوعي اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وذلك من خلال الوقوف والتطرق إلى التعريف ببعض المفاهيم الواردة في البحث، كما أننا استعنا بإجراءات منهجية أخرى كالتحليل والمقارنة في سرد بعض الأمثلة التي ندعم بها بحثنا، والتي نرى أنهما يخدمان موضوع بحثنا هذا.

2. الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية:

كان لعامل الاحتلال الفرنسي على دول المغرب العربي عامة وعلى الجزائر خاصة آثار ليس على جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية فقط، بل شمل الجانب الأدبي أيضا، مما نتج عنه ظهور أدب جديد اتخذ من لغة المستعمر (الفرنسية) وسيلة للتعبير والاتصال

MOUNIN يكون "المحتوى الدلالي للغة مرتبط بآثوغرافية الجماعة التي تتكلم هذه اللغة".

« Le Contenu de la sémantique d'une langue, c'est l'ethnographie de la communauté qui parle cette langue »⁽⁶⁾ (MOUNIN : 1963 :234)

ومن الواضح مما سبق أن الترجمة الأدبية لا ترتكز على اللسانيات فحسب وإنما هي مرتبطة أيضا بمجالات أخرى غير لغوية وهذا ما يجعل منها "أعصى الترجمات مراسا فهي تتميز بإشكالية مركبة ومتعددة المشارب عسيرة الإدراك، تحكمها حزمة من الشروط: إبداعية، جمالية، أسلوبية، لسانية وخارج لسانية... فهي ذات إفرزات دلالية لا متناهية حتى وإن كانت بمكونات محدودة في الشكل والتركييب."⁽⁷⁾ (بريهامات: 2003: ص65)

إن معرفة البيئة الثقافية التي نشأت فيها اللغة تعتبر عاملا مهما وضروريا ليس في تنمية الثروة اللغوية في عملية اكتساب اللغة فحسب، وإنما تعد أساسية أيضا في العملية الترجمانية، فإذا كان هناك نقص في الجانب الثقافي، فسوف يصعب على مترجم النص الأدبي تحقيق ترجمة صحيحة قال عنها محمد عناني أنها تلك الترجمة "التي لا تحجب الأصل ولا تعوق ضوءه، ولكنها تسمح للغة النقية أن تبرز، فكأنما تستمد القوة من اللغة الجديدة، لتسطع سطوعا أقوى على النص الأصلي."⁽⁸⁾ (عناني: 2006: ص284).

والجدير بالذكر، أن نطاق هذه الدراسة يتمثل في موضوع لا يقل أهمية عن الدراسات اللغوية

aussi la culture française qui est connue. »⁽¹⁰⁾ (DÉJEUX : 1982 :15)

لكن سرعان ما أدرك المستعمر الفرنسي أن هذه اللغة التي كانت أداة إدماج outil d'assimilation تحولت إلى أداة نضال قومي ضده، وكان يجب على الكتّاب الذين اتخذوا من هذه اللغة وسيلة للكتابة أن يتقنوها، لكن المشكلة التي كانت تواجههم هو كيف يمكن لهم التعبير بكل حرية عن آلام شعبيهم وآلامهم تحت رقابة المستعمر؟

عرفت فترة ما بين 1920 - 1945 أعمال أدبية كلها تحاول إعطاء صورة عن شعوب المغرب العربي حسب وجهة نظر المستعمر، بحيث تعالج مواضيع كانت نتيجة الظروف الاستعمارية: مثل الإدماج والمساواة، الحقوق...، ومن أهم كتّاب تلك الفترة في الجزائر: قايد بن شريف - أحمد بن مصطفى - سليمان بن إبراهيم - محمد ولد شيخ - وفي تونس طاهر إصايفي - محمود أسلان، حيث كانت أعمالهم موجهة للقارئ الفرنسي، فهي تنتقد بتحفظ في بعض الأحيان تأثير الاستعمار على نفسية الأفراد، حسب ما جاء في قول جان دي جو Jean DÉJEUX :

« Ils s'adressent aux Français et Critiquent par fois avec mesure l'influence néfaste de la colonisation sur les mœurs »⁽¹¹⁾ (DÉJEUX : 1973 :20)

تأثر الأدب المغاربي المكتوب بالفرنسية بالظروف السياسية التي كانت تعيشها معظم دول المغرب العربي، بالإضافة إلى أن النشاط الأدبي لعدد من الكتّاب دعم النضال الوطني بحيث

بين هذه الدول ومستعمرها، يرى شارل بون Charles BONN أن مفهوم الأدب المغاربي باللغة الفرنسية ظهر بعد 1950، أي عندما أصبحت فكرة هوية المغرب العربي موضوع نقاش على الساحة السياسية العالمية:

« Le Concept de la Littérature Maghrébine n'a surgi, après 1950, qu'à partir du moment où l'identité politique du Maghreb se mit à devenir l'objet d'un débat politique international. » (« Ecritures Maghrébines : Lectures Croisées »⁽⁹⁾ (BONN : 1991 :22)

يربط شارل بون بذلك هذه الظاهرة الأدبية بالظروف السياسية التي عاشتها كل الدول المغاربية (المغرب وتونس والجزائر) تحت سيطرة الاستعمار الفرنسي الذي كان يسعى في جميع هذه الدول إلى طمس الشخصية العربية الإسلامية وذلك عن طريق إدماج هذه الشعوب في منظومته الثقافية بشتى الطرق والوسائل غير الإنسانية.

فعلى الرغم من أن اللغة الفرنسية لقيت رفضا ومقاومة من طرف شعوب دول المغرب العربي في بداية الاحتلال، إلا أننا نلاحظ منذ سنة 1920 إقبالا عليها، يقول جان دي جو (Jean DÉJEUX) في هذا الصدد "بما أن اللغة تحاول أن تفرض نفسها، فإنه من المفيد معرفتها، قد يكون ذلك إيجابيا، فمن الأفضل امتلاكها لا الابتعاد عنها، لأنه من خلال اللغة يتم كذلك التعرف على الثقافة الفرنسية."

« Puisque cette langue tend à s'imposer, il est donc utile de la connaître, il peut y'avoir un avantage ; autant la posséder que la bouder. A travers la langue, c'est

وما يمكننا استنتاجه، أن الكتابة بغير اللغة الأم تعد بالنسبة لأي كاتب استثمارا ثقافيا، وبما أن أي عمل أدبي مرتبط باللغة التي هي وسيلته في التعبير والاتصال، فسواء كتب هذا الأدب الجزائري باللغة العربية أوباللغة الفرنسية، فإن محاولة ترجمته إلى إحدى اللغات الأجنبية أو حتى إلى اللغة العربية، يقودنا إلى الحديث بلا شك عن الجزائر، وفي هذا الصدد يقول ألبير ميمي (Albert MEMMI) وهو يصف الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية "إن أهم طريقة لفهم دول المغرب العربي، هو قراءة أعمال هؤلاء الكتاب، لأن لهذا الأدب أبعاداً سياسية واجتماعية".

« La meilleure manière de comprendre l'Afrique du nord, c'est de lire ses écrivains, c'est une littérature qui a une dimension Politico - Sociale »⁽¹⁴⁾ (MEMMI : 1964 : 16)

3. الترجمة والرواية الجزائرية المكتوبة باللغة

الفرنسية:

تعد الرواية أكثر الأجناس الأدبية حضورا وانتشارا في الوسط الفني الإبداعي، حيث أنها تعتبر ذاكرة المجتمع التاريخية والثقافية. فالتص الروائي بصفته خطابا سرديا هو مفتوح على جميع التجارب الإبداعية والفكرية التي تمنحه طابعه الفني المعرفي.

كما هو معروف، فإن لكل رواية صيغها وأساليبها السردية الخاصة بها، والتي تميزها عن غيرها، فقد يستعين الروائي بأسلوب سردي وأنماط التعبيرات الاصطلاحية من الأمثال

كانت مشاركتهم إيجابية في إيقاظ الشعور القومي لدى هذه الشعوب، واحتضن "الجيل الأول من الكتاب المغاربة المعروف بجيل 1952"،

« C'est une première génération d'écrivains Maghrébins nommé la génération de 1952 »⁽¹²⁾ (MEMMI : 1964 : 15)

أمثال مولود معمري، مولود فرعون، محمد ديب (الجزائر)، إدريس شرابي (المغرب)... وغيرهم قضية شعبهم ووطنهم، فعلى الرغم من اختلاف جنسيتهم إلا أن قضية بلادهم ومصير شعبهم رفع صوتهم ضد الاستعمار الفرنسي.

ولا بد من الإشارة إلى أن لجوء بعض الكتاب الجزائريين إلى معالجة قضية بلدهم باستعمال اللغة الفرنسية بمثابة وسيلة للتعبير فرضتها عليهم الظروف السياسية آنذاك وذلك لأنه حسب جان دي جو، إذا كان الكاتب الجزائري عبر باللغة العربية، الآخر (الفرنسي) سوف لن يفهمه، بالإضافة إلى أن هذا الأدب كان له وقع كبير على الرأي العام العالمي.

« Il faut d'ailleurs convenir que si l'écrivain algérien s'était exprimé en arabe, l'autre n'aurait pas compris cette langue. »⁽¹³⁾ (DÉJEUX : 1982 : 27)

ومن المعروف أن هذه الظاهرة الأدبية دامت في الجزائر أطول مدة وذلك لأن كلا من تونس والمغرب نالتا استقلالهما في 1956، السنة التي شهدت فيها الجزائر انطلاقة أدبية قوية خصوصا مع ظهور رواية "نجمة" للروائي كاتب ياسين.

قيمتها بالدرجة الأولى، وتتفاوت هذه القيمة على قدر كثافة انطباعات المبدع.⁽¹⁶⁾ (ر.م. البيريس: 1982: 468)

تعتبر الفترة ما بين 1945 - 1962 من أخصب فترات تاريخ الأدب الجزائري بحيث كان للأدب في هذه الفترة دور فعال في بث الروح النضالية في أوساط الأمة وإيقاظ الوعي الوطني لدى الجزائريين. كانت مأساة 8 ماي 1945 حدثا كبيرا في تاريخ الجزائر، وفاصلا تاريخيا بارزا في حياة الشعب الجزائري من الناحية السياسية والثقافية، لأن الكاتب أدرك مثله في ذلك مثل كل الشعب الجزائري أن فرنسا لن توفى بوعودها وأن حرية الجزائر في يد أبنائها.

كان لهذه الحقيقة المرة واقعا ثقيلا، فحوادث هذه المأساة تركت أثارا ليس على الساحة السياسية والثقافية فحسب وإنما في نفوس كل أبناء الجزائر الذين أدركوا ضرورة الدفاع عن قضية أمتهم. فكان الالتزام بها على مستوى عام شمل السياسيين والمثقفين على حد سواء، مما أدى إلى ظهور "أدب النضال الجزائري" الذي يمثل مرحلة تاريخية معينة، أدب المعركة الذي يعكس أحداث تلك الفترة، وهو أدب يدين بإيديولوجية الكفاح السياسي ومبادئ الحرية والعدالة، وقضايا الوطن والأمة، إنه أدب استخدمته الأمة نفسها سلاحا لتحطيم قيود الاستعمار ولتغيير الواقع المر.⁽¹⁷⁾ (أبركات: 1982: 46)، وفي هذا الصدد يقول عبد الله الركيبي "إن الأدب بكافة فنونه شعرا، قصة، رواية ومسرحية يعد المحرك

والحكم واستعمال اللغة بمستوياتها الفصحى والعامية، بالإضافة إلى الشخصيات والزمن والمكان فكلها تتدرج في نطاق الأبعاد الثقافية التي يحتويها الخطاب الروائي، فهو بالتالي يقدم عملا فنيا أصيلا وغنيا يبعده اللغوي الفني وبمرجعياته الثقافية.

إن حاجة النص الروائي إلى توظيف المخزون الثقافي والاجتماعي في خطابه ما هو إلا رغبة من الروائي في إثراء نصه بما هو ذاتي وأصيل في مجتمعه الذي يكتب عن قضاياها، بالإضافة إلى أن الرواية بتوظيفها لمخزون الثقافي، فهي تساعد على الحفاظ على هذا الموروث الذي يعد أساس وعماد ذاكرة المجتمع.

لقد عكست الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية عدة مواضيع ذات طابع سياسي واجتماعي وثقافي، حيث تقول عايدة أديب بامية، "قد شهد عام 1945 هجوما ساخطا على الإدارة الفرنسية، تم التعبير عنه صراحة أو ضمنا من خلال الرمز والتلميح."⁽¹⁵⁾ (أديب بامية: 1982: 309)

تكمن قيمة الرواية، ونجاحها الفني وقدراتها على إثارة الانفعال في قوة أصالتها حيث تفرض نفسها بوصفها عملا فنيا ومؤثرا موضوعيا عندما يكون هناك انسجام بين ما أراد الكاتب قوله والتقنيات المستعملة من أجل ذلك، وفي هذا الصدد يقول هنري جيمس (Henry James) إن الرواية في أوسع تعريف لها هي انطباع شخصي عن الحياة، وهذا الانطباع هو الذي يشكل

أديب بامية: 1982: 72)، إلا أنه ونتيجة لظروف سياسية وثقافية واجتماعية نجد أن معظم الروائيين آنذاك اتجهوا نحو الكتابة باللغة الفرنسية، ويعود السبب في ذلك أولا " لكونهم أول جيل تلقى التعليم الفرنسي" (22) (مرتاض: 1983: 19) مما ساعدهم في الاحتكاك بثقافات غربية عن طريق التعرف على الآداب العالمية وبالتالي أسهم هذا في اكتسابهم خلفية ثقافية غربية، وثانيا "لغياب دور النشر في الجزائر" (23) (مرتاض: 1983: 11)

لم تكن كل هذه الصعوبات عائقا في وجه الكتاب الجزائريين لأن تعامل الكاتب الجزائري مع اللغة الفرنسية لم يكن تعاملًا انفتاحيا، لأن الانفتاح ينبع من الاختيار، ولهذا حملت اللغة الفرنسية صفة الغزو. (24) (مناصرة: 1996: 84)، بالإضافة إلى ذلك كان موقف الحزب الفرنسي اليساري إيجابيا تجاه القضية الجزائرية، فقد كان له الفضل في دعم معظم الأعمال الأدبية خصوصا الروائية المكتوبة بالفرنسية وساعد على نشرها في فرنسا حسب قول عبد الكبير الخطيبي
:Abdelkadir KHATIBI

« La gauche Française trouva chez un écrivain arabe non seulement une complicité politique mais aussi ses préoccupations littéraires profondes. » (25)
(KHATIBI : 1968 :101)

اهتم الروائيون الجزائريون أمثال: مولود فرعون ومولود معمري ومحمد ديب ومالك حداد وأسيا جبار وكاتب ياسين ... وغيرهم من

الحقيقي لروح الشعب، والمعبر عن حياته المادية والروحية، ومن ثم لا بد وأن تكون غايته الإنسان لا الجمال فقط. ولا يخفى على أحد أن الأدب كان دائما هو الشرارة الأولى التي انطلقت منها الثورات الكبرى ... تلك الثورات التي حررت الإنسان من الظلم والسيطرة والعبودية. (18) (مصايف: 1984: 277)

كان لهذا التبادل بين الثقافة الفرنسية والتراث العربي الإسلامي الجزائري آثار إيجابية تتمثل حسب مولود معمري في أن الثقافة الفرنسية أسهمت في استعادتنا للقيم الحقيقية لثقافتنا الصرفة التي كادت أن تبقى بالنسبة لنا كلمات ميتة، صماء. (19) (أديب بامية: 1982: 54). لقد أسهم هذا الأدب كذلك، في وجود ثقافتين في الجزائر وساعد على فهم الثقافة الجزائرية والحفاظ عليها من الزوال، وفي الإثراء اللغوي، كما جاء بمواضيع وأفكار جديدة استفاد منها الأدب الفرنسي خصوصا ويمكن اعتبار هذا الإسهام الفني ثروة جزائرية تغني الثقافة الجزائرية، يجب أن لا نبتز هذا الجزء الذي هو حظ خاص بالجزائر. (20) (أديب بامية: 1982: 55)

لقد عجّلت الحرب العالمية الثانية في ميلاد الرواية الجزائرية وذلك لأن الجو السياسي والاجتماعي عقب هذه الحرب كان ملائما للنشاط الروائي. أدرك الكتاب الجزائريون أهمية هذا الجنس الأدبي في تحقيق قضيتهم، وبذلك بدأ التزام الكتاب، فانخرطوا بصورة مباشرة في غمار الثورة متجندين لنصرتها. (21)

الكتاب في أعمالهم الأدبية بالمشاكل الاجتماعية التي كان يعيشها شعبهم والتي فرضت عليهم من قبل المستعمر، وعالج كل كاتب الموضوع من وجهة نظره الشخصية وبأسلوبه وطريقته الخاصة. كان ظهور هذا الأدب المكتوب باللغة الفرنسية موازيا مع تطور النضال السياسي في الجزائر، وكان له دورا فعالا وإنسانيا في محاربة الظلم والبؤس والمطالبة بالحرية والمحافظة على الكرامة الإنسانية، كما أنه استطاع أن يحمل معاناة الشعب الجزائري خارج الحدود وأن يسلط الضوء على القضية الجزائرية ويحرك الرأي العام العالمي "فالوعي السياسي لدى الأدباء هو الذي دفعهم إلى التفكير في مصير شعبهم وهو الذي جعلهم يعتبرون أنفسهم مجندين للدفاع عن هذه الشعوب."⁽²⁶⁾ (مصايف: 1984 : 237)

كانت الكتابة باللغة الفرنسية بمثابة "المنفى الأول" « Notre premier exil fut de langue »⁽²⁷⁾ (DÉJEUX :1982 :87)، حسب قول أسيا جبار. لقد أثار هذا الأدب آراء عديدة، فاختلفت وجهات النظر حوله، فمنها من تعتبره أدبا جزائريا، ومنها من تعتبره أدبا فرنسيا، وترى أن هؤلاء الأدباء الذين كتبوا باللغة الفرنسية "أثروا الأدب الفرنسي بانتمائهم الثقافي المزدوج وعبقريته أسلوبهم".

« Ils ont enrichi la littérature Française par leur double appartenance culturelle et le génie de leur style ».⁽²⁸⁾ (RESCH, CHEVRIER, JOUBERT : 2001 : 4)

ومن هذا المنظور يمكننا القول إن الرواية تعد أسمى حقل للحوادث الحسية وأسمى بيئة لإظهار الحقيقة فهي لا تعتمد على عوامل ثابتة وواضحة، لأن العالم الذي نعيش فيه يتغير باستمرار وبسرعة كبيرة، فوجد المبدع في هذا الجنس الأدبي وسيلة للتعبير عن نفسه وعن واقع مجتمعه. كما هو معروف أن الروائي يتأثر كثيرا بالبيئة التي يعيش فيها وهذا التأثير هو الذي يؤدي إلى ظهور الرواية، بمعنى أنه "ليس الروائي الذي يضع الرواية بل الرواية هي التي تضع نفسها بنفسها".⁽²⁹⁾ (بتور: 1971 : 13)، فبعدها كانت الرواية تعتمد في الماضي على الأساليب التقليدية التي لا تتطلب من القارئ جهدا لضبط مفاهيمها، أصبحت اليوم عبارة عن مغامرة فنية لكشف أسرار الخطاب وفك شفرة معانيه ومضامينه، لقد أصبحت الرواية منذ منتصف القرن العشرين من أوسع الأجناس الأدبية انتشارا، حيث اتخذها الكثير من الكتاب وسيلة ليعبروا بها عن واقعهم بكل ما يحمله من سلبيات وإيجابيات.

4. الترجمة الأدبية والبعد الثقافي:

تعرف الثقافة في علم الاجتماع بأنها "البيئة التي خلقها الإنسان بما فيها المنتجات المادية وغير مادية التي تنتقل من جيل إلى آخر، فهي بذلك تتضمن الأنماط الظاهرة والباطنة للسلوك المكتسب عن طريق الرموز والذي يتكون في مجتمع معين من علوم ومعتقدات وفنون وقيم

لواقع اللغات مع بعضها البعض، يقول جورج مونان (Georges MOUNIN) في هذا الصدد "إن المترجم لا يترجم للفهم بل للإفهام فالمسألة بالنسبة إليه ليست اكتشاف معنى يجهله بل اكتشاف وسيلة التعبير عن هذا المعنى في لغة الأم."⁽³²⁾ (مونان: 1994: 7)

إن البحث عن نظرية للترجمة تكون بمثابة عون للمترجم لحل المشاكل الثقافية دفع منظري الترجمة إلى اللجوء إلى النظريات اللغوية خاصة تلك التي اهتمت بدراسة اللغة من الناحية الاجتماعية والنفسية، أما عن أبحاث علم الأنثروبولوجيا التي قامت بدراسة اللغة مقارنة بالثقافة، فقد برهنت أنه "لا يوجد هناك تكافؤ دقيق بين اللغات، وأنه لا يوجد توافق بين اللغات التي تنتمي إلى مجموعات لغوية مختلفة وأصول مختلفة ... وكل لغة باعتبارها جزءا من ثقافة محددة لا يمكن أن تفهم إلا ضمن محيطها الثقافي."⁽³³⁾ (شاهين: 1998: 24)

اختلفت اتجاهات الدراسة العلمية للترجمة، فمن وجهة نظر إدموند كاري (Edmond Cary) مثلا، فإن الترجمة تعد عملية معقدة تتعدى المجال اللغوي، فهو يرى أن السياق اللغوي لا يشكل إلا المادة الخام للنشاط الترجمي، فما يميز فعلا هذا النشاط هو السياق المعقد الذي يقوم على العلاقة بين ثقافة وفكر وإحساس عالمين مختلفين.

« Le contexte linguistique ne forme que la matière brute de l'opération traduisante ; c'est le contexte bien plus

وقوانين وعادات وغير ذلك ... »⁽³⁰⁾ (بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية: 1993: 92)

لقد ساعد التقدم العلمي وتطور وسائل الاتصال على تسهيل عملية التواصل والتعرف على مجتمعات أخرى، ومن الطبيعي، أن هذا الاحتكاك بالآخر نشط حركية الترجمة ووسّع نطاقها فتعددت أنواعها. لقد ساعدت الترجمة عدة مجتمعات في الاتصال مع بعضها البعض على الرغم من اختلاف اللغات والثقافات، وتقول فرانسيس كوفمان (Francine Kaufmann) في محاضرة لها ألقته في ملتقى ISIT حول هذا الصدد "إن الترجمة هي عبارة عن انفتاح وحوار ومزيج واللامركزية."

« La traduction est ouverture, dialogue, métissage, décentrement. »⁽³¹⁾
(KAUFMANN: Colloque ISIT: 2002:325)

لكن المشكل الذي يعاني منه الكثير من المترجمين خاصة عند ترجمة النصوص الإبداعية هو كيف يمكن نقل عبارة أو كلمة تحمل خلفية ثقافية لا يوجد مكافئ لها في اللغة المنقول إليها؟ إن العبارات والكلمات ذات الخلفية الثقافية تعتبر حجرة عثرة في العمل الترجمي، خاصة إذا كان الاختلاف الثقافي بين اللغة المنقول منها واللغة المنقول إليها واسعا.

لقي هذا المشكل اهتمام العديد من منظري الترجمة، وساعدت اللسانيات الحديثة الترجمة على إظهار الثغرات المتعلقة باختلاف رؤى العالم، واختلاف الثقافات عن طريق التحليل الدقيق

يتمثل في قدرته على أن يكون في مستوى فكري لا يقل على مستوى مؤلف النص الأصلي وأن معرفته بالموضوع المعني يجب أن تكون مساوية له كذلك.⁽³⁵⁾ (الخطيب: 1977: 322)

انطلاقاً مما سبق وإذا كان لنا أن نطرح هنا مسألة الترجمة الأدبية عموماً، وترجمة الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية بشكل خاص، فإننا ملزمون إلى النظر إليها من زاوية لسانية تتناول العديد من الصعوبات النظرية والتطبيقية، ذلك لأن الانتقال من لغة إلى أخرى هو في حد ذاته إشكالية لغوية وظاهرة تستدعي الوقوف عندها ودراستها، فلا يمكننا بذلك فهم الفعل الترجمي إلا إذا ربطناه بالدرس اللساني، لكن يجب الإشارة هنا إلى أن المعرفة اللغوية الشاملة لا تكفي وحدها في العملية الترجمية، بل يجب معرفة الثقافة التي ترتبط بهذه اللغة. نستخلص إذن عبر هذه السلسلة من الملاحظات، أن المشاكل التي يتعرض لها المترجم الأدبي يمكن تصنيفها عموماً إلى نوعين أساسيين: مشاكل لغوية ومشاكل ثقافية.

تتمثل المشاكل اللغوية في صعوبة فهم وترجمة التراكيب اللفظية أو النحوية، لأن لكل لغة خصوصياتها وآلياتها وهذا ما يعرف في اللسانيات "بعبقرية اللغة" *le génie de la langue*، أما المشاكل الثقافية المطروحة في العملية الترجمية، فهي ذات طابع اجتماعي وثقافي وديني بمعنى كل ما يتعلق بما هو غير لغوي. Extralinguistique.

complexe, des rapports entre deux cultures, deux mondes de pensées et de sensibilité qui caractérise vraiment la traduction.»⁽³⁴⁾ (MOUNIN : 1976 :114)

إن موقف إدموند كاري لقي اهتمام عدد من المنظرين أمثال نايدا (Nida) وأ. ف. فيدوروف (Fédorov) A.V. وفني ودربلني (Vinay et Darbenet) الذين اتفقوا على أن العملية الترجمية لا تتضمن مشاكل لغوية فحسب ولكن هناك مشاكل غير لغوية تتعلق بالجانب الثقافي، بمعنى أن الترجمة لا تخضع لقانون الكل أو الجزء ولكنها تبحث عن المكافئ المناسب، فالترجمة الأدبية مثلاً ليست عبارة عن عملية لغوية فقط بل هي "عملية أدبية" أيضاً.

أظهرت كل الدراسات اللسانية المختلفة أن العملية الترجمية لا تقتصر على احترام المعنى البنيوي للنص أي مضمونه اللفظي (Contenu Lexical) والنحوي (Syntaxique) فقط، بل يجب على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار البعد الزمني والمكاني والثقافي للنص أيضاً، فهو لا يقوم بنقل النص من لغة إلى لغة أخرى بل من سياق ثقافي نحو سياق ثقافي آخر، ولذلك يجب عليه أن يدرك معنى الخطاب، وهذا يتطلب منه بطبيعة الحال امتلاك الكفاءة المعرفية في اللغتين حتى يمكن له فهم آليات كل لغة وخلفياتها، إضافة إلى ذلك يتعرض المترجم الأدبي إلى مشاكل أخرى تتعلق بترجمة الأسلوب والمحافظة على المستوى اللغوي والبعد الجمالي للنص الأصلي، فهو يحمل بذلك على عاتقه عبئاً ثقيلاً

التّرجمة العربيّة الأولى لـ محمد قوبعة والتّرجمة العربيّة الثّانيّة لملّكة أبيض العيسى بنفس المكافئ "ابن الخال"، فلم يختلف المترجمان في نقل هذه الكلمة، علماً أنّ كلمة «Cousin» يقاربها في اللغة العربيّة "ابن العم، ابن العمّة، ابن الخال، ابن الخالة"، ويكمن هذا الاتفاق في قدرتهما اللغويّة والتّزامهما على فهم الخطاب فهما دقيقاً.

إن فهم مفردات القرابة في النّص الأصلي والبحث عن مكافئات مناسبة لها في لغة الهدف قد لا يكون بالعمليّة السّهلة، فعلى سبيل المثال، نجد في اللغة العربيّة كلمات تدل على قرابة محددة، فهي تأخذ بعين الاعتبار نسب الأم والأب، وكذلك جنس الفرد، ذكراً أو أنثى، على خلاف اللغة الإنجليزيّة واللغة الفرنسيّة، فمثلاً نجد لكلمة «Cousin» في اللغة الإنجليزيّة والتي تجمع بين المؤنث والمذكر ثمانيّة مكافئات في اللغة العربيّة: "ابن العم، ابن العمّة، ابن الخال، ابن الخالة"، "ابنة العم، ابنة العمّة، ابنة الخال، ابنة الخالة".

مثال آخر:

- «j'en ai deux, dit l'épicier, un de ma femme et un de moi.»(KATEB Yacine :Nedjma :1956 : 203)

- "لي ولدان، أحدهما ريبي والآخر ابني." (كاتب ياسين: نجمة: محمد قوبعة:1987: 212)

إنّ الكلمات المتعلقة بصلة القرابة على سبيل المثال تتطلب من المترجم تحديد الصلة بين الشّخصين المعنيين بدقة، ولكي يحقق المترجم ترجمة سليمة لهذا النوع من الكلمات عليه أن يختار المكافئات المناسبة وذلك بالاعتماد على السّياق الدلالي الملائم، كما يظهره لنا المثال التّالي المأخوذ من التّرجمة العربيّة لكل من المترجمين محمد قوبعة وملكة أبيض العيسى والتّرجمة الإنجليزيّة لمترجم ريتشارد أوارد Richard HOWARD لرواية "نجمة" لكاتب ياسين:

في هذا المثال يخاطب لخضر نجمة على عتبة باب منزلها قائلاً:

- «Je suis votre cousin, ma mère Zohra avait épousé en première nocés votre oncle paternel Sidi Ahmed, le père de Mourad»(KATEB Yacine: Nedjma:1956: 86)

- "أنا ابن خالك، لقد تزوجت أمي زهرة أولاً، خالك سيدي أحمد، والد مراد" (كاتب ياسين: نجمة: محمد قوبعة:1987: 90)

- "أنا ابن خال لك، لقد تزوجت أمي زهرة، في أول زواج لها، خالك سيدي أحمد، أبا مراد" (كاتب ياسين: نجمة: محمد قوبعة:1987: 126)

- «I'm your cousin; my mother Zohra married your uncle Sidi Ahmed, Mourad's father» (KATEB Yacine: NEDJMA: Richard HOWARD: 1991: 114)

ترجمت في هذا المثال كلمة «Cousin» من اللغة الفرنسيّة إلى اللغة العربيّة في كل من

long. » (KATEB Yacine: NEDJMA: Richard HOWARD: 1991: 207)

إن اختلاف الحضارات الإنسانية مرتبط بتعدد واختلاف الثقافات، فمعرفة تتطلب معرفة شاملة بثقافة الشعوب، عاداتهم ومفاهيمهم فيما يخص البيئة الاجتماعية التي يعيشون فيها وعلاقات الأفراد فيما بينهم. فإذا كان المجتمع الفرنسي أو الإنجليزي مثلاً يفرق بين الولد من نفس الوالدين والولد من أب أو أم مختلفين كما جاء في الترجمة الإنجليزية « half-brothers » مقابل « demi-frères » و « half-sisters » مقابل « demi-sœurs » ، فإننا نرى أن الترجمة العربية الأولى والثانية قدمت نفس المكافئ " إخوته وأخواته " ، ولم تحدد إن كانت صلة الأخوة هذه من جهة الأب فقط . تصرف المترجمان في مفهوم الأخوة بإعطائه " لونا محلياً " مطابقاً لما هو متداول في اللغة الهدف (اللغة العربية).

مثال آخر يظهر لنا الطقوس الدينية التي تميز المجتمع العربي الإسلامي ومن بينهم المجتمع الجزائري في دفن الموتى:

- « Va donc lui chercher un drap, si ça peut servir à son enterrement. » (KATEB Yacine :Nedjma :1956 : 36)

- " اذهب وائته بإزار ، إن كان ذلك يصلح له كفنا يدفن فيه." (كاتب ياسين: نجمة: محمد قوبعة: 1987 : 34)

- " اذهب إذا ، وأبحث له عن ملاءة يمكن أن تستخدم في دفنه تحت الأرض." (كاتب ياسين: نجمة: ملكة أبيض العيسى: 1980 : 62)

- " وأجاب البقال: لي ابنان ... أحدهما لزوجتي، والآخر لي." (كاتب ياسين: نجمة: ملكة أبيض العيسى: 1980 : 260)

- « I have two, the grocer says: 'one of my wife's and one of my own. » (KATEB Yacine: NEDJMA: Richard HOWARD: 1991: 271)

من الملاحظ أن التّرجمات الثلاث اختلفت في إعطاء المكافئ للتركيب اللغوي « un de ma femme » ، فبينما لجأ ريتشارد أوارد وملكة أبيض العيسى إلى الحرفية المعجمية ، نجد أن محمد قوبعة لجأ إلى أسلوب التصرف لتقديم المكافئ المناسب " ربيبي " معتمداً في ذلك على البعد الثقافي للعبارة حتى يكون لها استجابة مكافئة لدى المتلقي في لغة الهدف.

ولدينا في المثال الموالي أيضاً اختلاف في مفهوم القرابة بين المجتمع العربي الجزائري والمجتمع الغربي:

- « le dernier né, Rachid, ne devait pas connaître longtemps ses neuf demi-frères et demi-sœurs. » (KATEB Yacine :Nedjma :1956 : 156)

- " أما رشيد - آخر المواليد - فإنه لم يكتب له أن يبقى طويلاً مع أخوته وأخواته التسعة." (كاتب ياسين: نجمة: محمد قوبعة: 1987 : 162)

- " لم يستطع رشيد ، المولود الأخير أن يبقى طويلاً على صلة بإخوته وأخواته التسع." (كاتب ياسين: نجمة: ملكة أبيض العيسى: 1980 : 205)

- « Rachid, the last-born, was not to know his nine half-brothers and half-sisters for

كما أنها مرتبطة بالعادات والتقاليد، إضافة إلى أن اللباس يشكل المظهر الخارجي للشخص، فهو يظهر ذوقه ومكانته الاجتماعية. فإن اللباس التقليدي يختلف من حيث الشكل واللون من مجتمع إلى آخر وحتى من منطقة إلى أخرى، فهو يخضع في الواقع لعوامل ثقافية واجتماعية عديدة عرفية ودينية وبيئية كما تبينه لنا الأمثلة التالية:

- « Tu n'aurais pas ton voile, par hasard ? » (KATEB Yacine : Nedjma :1956 : 36)

- " أليس لك **حجاب** ؟ " (كاتب ياسين:نجمة: محمد قوبعة: 1987: 34)

- " ألا تحملين **خمارك** مصادفة الآن ؟ " (كاتب ياسين:نجمة: ملكة أبيض العيسى: 1980: 61)

- « You don't happen to have your veil? » (KATEB Yacine: NEDJMA: Richard HOWARD:1991: 48)

يظهر لنا هذا المثال، أن التّرجمتين العريبتين اختلفتا في نقل كلمة «Voile»، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على الخلفية الثقافية والاجتماعية التي تحملها هذه الكلمة. كما يظهر لنا، فإن كلا من المترجم محمد قوبعة والمترجمة ملكة أبيض العيسى نقلتا كلمة « Voile » بإعطائها بعدا دينيا "حجاب" و"خمار"، مما أدى إلى تقديم ترجمة غير صحيحة، مقارنة بالكلمة الأصلية التي تحمل بعدا ثقافيا اجتماعيا، حيث أنّ الروائي كاتب ياسين يقصد هنا اللباس التقليدي "الملاءة" التي

-« Go find him a sheet, may be he can get buried in it. » (KATEB Yacine: NEDJMA: Richard HOWARD: 1991: 49)

يظهر لنا هذا المثال مدى اختلاف التّرجمات الثلاث في نقل أحد طقوس دفن الموتى في المجتمع العربي الإسلامي، والمتمثل في "الكفن"، الثوب الأبيض اللون الذي يلف به الميت قبل دفنه، فبينما قام محمد قوبعة في التّرجمة العربية الأولى بالحفاظ بهذا البعد الديني الذي تحمله كلمة « drap »، وذلك بتقديم الكلمة المكافئة "إزار" مرافقاً بعبارة "يصلح له كفنا يدفن فيه". أما في التّرجمة العربية الثانية، نجد أنّ صاحبها لم تحافظ على البعد الديني التي تحمله الكلمة الأصلية. إن استخدام المترجمة لكلمة "الملاءة" التي هي عبارة عن لباس تقليدي أسود اللون تستعمله المرأة في منطقة الشرق الجزائري لا تعكس صورة دفن الميت، وبذلك تكون ترجمتها بعيدة عن المعنى الدلالي المقصود به من طرف الروائي في الجملة الأصلية.

أما على مستوى التّرجمة الإنجليزية، يظهر لنا أن المترجم ريتشارد أوارد حافظ على نفس المعنى الأصلي، فلم يضيف أية عبارة تدّعم الكلمة المكافئة « Sheet »، ولم يلجأ للتّصرف في خلفية الكلمة الأصلية « drap »، حيث اكتفى المترجم ريتشارد أوارد بخلق نفس المعنى الدلالي لتحقيق التّكافؤ ونقل الكلمة الأصلية « drap » بكلمة « Veil ».

من المعروف أن الملابس تملك دلالات، فهي ترتبط بمواقع وبمناسبات معينة قد ترتدى فيها،

تلبسها المرأة في منطقة الشرق الجزائري وهي ذات اللون الأسود.

أما على مستوى الترجمة الإنجليزية، فنرى أن المترجم ريتشارد أوارد (Richard Howard) لم يجد المكافئ المناسب لكلمة « Voile »، ويعود السبب في ذلك إلى التباعد الثقافي بين اللغة الإنجليزية واللغة العربية، لأن هذه الكلمة في الواقع تعد كلمة عربية أصيلة، مما أدى إلى إشكالية ترجمتها ونقلها بنفس الدلالة اللغوية والثقافية التي تحملها كلمة "الملاء"، فاكتفى المترجم بنقل المعنى المعجمي لكلمة «Voile» فقط، وأهمل الخلفية الثقافية التي تحملها الكلمة الأصلية، وبالتالي جاءت ترجمته ناقصة « Veil » فالمتلقي لهذا النص المترجم لن تكون لديه الصورة الواضحة والدقيقة لهذا اللباس التقليدي، رمز المرأة الجزائرية في منطقة الشرق، ولذلك كان يجب على المترجم ريتشارد أوارد أن يبحث عن مرجعية هذه الكلمة لكي يرافق ترجمته بتفسير هامشي يقدم فيه جميع تفاصيل هذا اللباس للمتلقى الأجنبي.

مثال آخر عن مفردات الملابس في المجتمع

الجزائري:

« Zhor se débarrassait de son « voile », dont elle faisait une boule qu'elle lançait par-dessus sa tête. Elle poursuivait l'enfant. Sans « haïk » ! Même sur cette route déserte, si sa mère avait pu s'en douter. Aïe !... » (Mohammed DIB : L'Incendie : 1954 : 10)

- وكانت زهور في مثل هذه الأحوال تخلع عنها "حجابها"، فتطويه حتى يصير أشبه بكرة، وتأخذ تركض في أثر الصبي. إنها تركض بلا "حايك" .. يا ويلها إذا علمت أمها أنها تسير بلا "حايك" ولو في هذا الطريق المقفر." (محمد ديب: الحريق: سامي الدروبي: 1970: 11)

يظهر لنا هذا المثال، أن الروائي محمد ديب استعمل كلمتين مختلفتين « voile » و « haïk »، لكن في الأصل يقصد الروائي بالكلمتين نفس الشيء، أي "الحايك"، ذلك اللباس التقليدي الذي تلبسه المرأة في منطقة غرب الجزائر عامة، والذي يتفنن في نسجه أبناء مدينة تلمسان التي تدور أحداث الرواية بها.

إلا أنه نلاحظ في ترجمة هذا المثال، أن المترجم سامي الدروبي لم يراع في ترجمته الخلفية الثقافية التي تحملها الكلمة الأصلية « voile »، حيث أعطى لهذه الكلمة عند ترجمتها مكافئاً ذا بعد ديني "حجاب"، علماً أن كلمة « voile » هنا يقصد بها "الحايك" حسب ما جاء في السياق الدلالي اللغوي، كان يجب على المترجم ضبط المعنى الدلالي الثقافي لكلمة « voile » حتى يقدم المكافئ الملائم "الحايك".

نخلص إلى القول إنه سواء كان "الحايك" أم "الملاء" أو أي لباس تقليدي تلبسه المرأة الجزائرية في أي منطقة فهو يحمل دلالة ثقافية واجتماعية، حيث يمثل هوية المرأة الجزائرية

والذي يجب الحفاظ عليه، لأنه من ضمن مقومات الثقافة الجزائرية.

ومن المعروف أيضا أن المشاكل اللغوية تزداد حدتها إذا ما ازداد الاختلاف بين اللغتين المعنيتين، وإذا كانت الثغرات الثقافية واسعة فهذا سيؤثر بطبيعة الحال سلبا على الفعل الترجمي بحيث يكون من الصعب إيجاد المكافئات الثقافية المناسبة للألفاظ أو العبارات الأصلية التي تحمل بعدا ثقافيا، مما يجعل المترجم في موقف صعب، إما أن يلجأ للاقتراض

« Les femmes, Mama et Zhor, disposaient la « Meida » pour le déjeuner lorsque Omar rentra. » (Mohammed DIB : L'Incendie : 1954 : 23)

- " وحين عاد عمر إلى البيت كانت المرأتان تعدان المائدة." (محمد ديب: الحريق: سامي الدروبي: 1970: 23)

« Il dominait la grande route et par-delà la route, la dechera des fellahs, lieu dit aussi Bni Boublen. » (Mohammed DIB : L'Incendie : 1954 : 12)

- " ويشرف على الطريق الكبير كله، وعلى ما بعد الطريق الكبير، يشرف على دشرة الفلاحين، وهي موضع يسمى أيضا بنو بوبلان." (محمد ديب: الحريق: سامي الدروبي: 1970: 12)

« Pourquoi donc es-tu venu ici, dans ce « sale bled » ? Hein ! » (Mouloud FERAOUN : Les Chemins qui montent : 2003 : 178)

- "لماذا عدت إلى هذا البلد القذر إذن؟" (مولود فرعون: الدروب الشاقة: حسن يحي: 2005: 251)

« Les trois manœuvres marchent vers le douar d'un commun accord. » (KATEB Yacine : Nedjma : 1956 : 33)

- "وراح العمال الثلاثة يسيرون نحو الدوار بخطى متسقة." (كاتب ياسين: نجمة: ملكة أبيض العيسى: 1980: 56)

والمترجم في موقف صعب، إما أن يلجأ للاقتراض

Borrowing / Emprunt أو للتصرف

Adaptation / Adaptation، وعليه أن لا يؤثر ذلك على المعنى الأصلي وبشكل واضح عند ترجمة النصوص الأدبية على شتى أجناسها مما قد تشكل خطرا على "أمانة" المترجم التي تعد من أهم الشروط في العملية الترجمية.

يعد الاقتراض أسلوبا مباشرا يلجأ إليه المترجم لنقل كلمة أو عبارة من لغة إلى لغة أخرى دون ترجمتها، وذلك عندما يتعذر على المترجم إيجاد معادل لهذه الكلمة أو العبارة في اللغة المنقول إليها يطابق تلك الموجودة في لغة المنقول منها، وما نلاحظ من خلال قراءتنا لعدة روايات جزائرية مكتوبة باللغة الفرنسية، أن تقنية الاقتراض استعملت من قبل كتاب هذه الروايات عن طريق إدخال بعض الكلمات في سياق النص الأصلي (اللغة الفرنسية) مأخوذة من اللغة والثقافة العربية - الجزائرية، ويعود السبب في ذلك لعدم وجود مكافئات لها في اللغة الفرنسية، كما أن هذه

(Mohammed DIB : L'Incendie : 1954 : 148)

- "يقال أن الصراط أدق من حد السيف وأرق من شعرة." (محمد ديب: الحريق: سامي الدروبي: 1970: 154)

-« appelle sur nous la baraka. »(Mouloud FERAOUN: Le Fils du Pauvre:2009: 55)

- " ودعا أن تحل علينا البركة." (مولود فرعون: ابن الفقير: نسرين شكري: 2014: 57)

إن استعمال كتاب الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية لكلمات ذات طابع محلي عربي في سياق خطاب رواياتهم يملك بعدا دلاليا هاما، فالغرض من ذلك هو إظهار من خلال هذه الكلمات الفرق الموجود بين المجتمع الجزائري والمجتمع الفرنسي في ما يتعلق بنمط العيش واختلاف العادات والتقاليد التي كان أفراد المجتمع الجزائري يحرصون على التقيد بها ونقلها لأبنائهم لضمان مورثهم الثقافي.

إن هذا "اللون المحلي" الذي صبغت به الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية يعرف المتلقي غير العربي على جانب من الثقافة الجزائرية، بحيث أنه من خلال أسلوب الاقتراض تكون الترجمة في كثير من الأحيان بمثابة جسر تمر من خلاله الكلمات المقترضة من لغة إلى لغة أخرى، يرى كل من ج. ب. فيني (J.P Vinay) وج. داربلني (J.Darbelnet) في هذا الصدد:

« Il est à remarquer que souvent les emprunts entre dans une langue par le

-« ... c'était au moment de mon entrée à la Médersa. » (KATEB Yacine :Nedjma : 1956 : 108)

- "... كان ذلك في الفترة التي دخلت فيها المدرسة." (كاتب ياسين: نجمة: ملكة أبيض العيسى: 1980: 154)

-« Si Mokhtar fut rejoint par Rachid, alors qu'il errait seul dans les souks. » (KATEB Yacine :Nedjma : 1956 : 119)

- "والتحق بسي مختار، بينما كان هذا يتجول وحده في الأسواق." (كاتب ياسين: نجمة: ملكة أبيض العيسى: 1980: 166)

-« Les habous sont saisis, aussi bien que les terres aarch. »(Mohammed DIB : L'Incendie : 1954 : 65)

- "الحبس صودرت، وكذلك أراضي المشاع." (محمد ديب: الحريق: سامي الدروبي: 1970: 67)

-« Le fellah produisit un son de gasba avec ses narines largement dilatées. » (Mohammed DIB : L'Incendie : 1954 : 66)

- " فنشق المزارع بمنخريه الواسعين نشقة كان لها صوت كأنه صوت قصية." (محمد ديب: الحريق: سامي الدروبي: 1970: 68)

-« Est-ce que vous êtes un Taleb ? »(Mohammed DIB : L'Incendie : 1954 : 94)

- "هل أنت طالب علم؟" (محمد ديب: الحريق: سامي الدروبي: 1970: 97)

-« On dit que le sirath est plus effilé qu'une épée et plus fin qu'un cheveu. »

يجب معرفة مضامين سياق خطابها اللغوي وأبعاده الثقافية والاجتماعية والنفسية.

إن الأمانة في الترجمة هي من أهم ما ينبغي أن يركز عليها المترجم الأدبي، فلا يزيد ولا ينقص من النص، أو يغير منه بل عليه أن يؤدي الرسالة أداء كاملا دون تشويه المعلومات التي يتضمنها النص الأصلي.

5. خاتمة: إن للثقافة جذورا متغلغلة في المجتمع، فهي تكيّف كل ما يصدر عنه من مواقف وأفكار وسلوك وهي بذلك بمثابة القلب النابض لأي مجتمع وقوامه، حيث يسهم كل فرد فيه في إبراز نمط معين من الثقافة تمليه عليه العادات والذهنيات التي تكونت خلال قرون متتالية وشكلت بذلك فيها الثقافة أصالتها، فضلا على الألفاظ والعبارات الاصطلاحية التي تملك حمولة ثقافية، هناك ثقافة شعبية تتميز بانتشارها السريع بين مختلف الفئات الاجتماعية، لسهولة تمثيلها واستيعابها ولبنائها التركيبي وقدرتها التعبيرية التي تجعلها تعكس مختلف أنماط السلوك البشري مثل الأمثال والحكم والعادات والطقوس الدينية والتي قد تكون عائقا أمام المترجم نظرا لثغرات الثقافية الموجودة بين لغة الأصل ولغة الهدف.

إن ترجمة النص الأدبي لا تتطلب من المترجم امتلاك الكفاءة اللغوية The Linguistic Competence فحسب بل إلى جانب ذلك يجب عليه أن يمتلك الكفاءة المعرفية The Cognitive

canal d'une traduction ».⁽³⁶⁾ (J.P. VINAY et J. DARBELNET: 1956 : 47)

لقد تعددت الآراء حول طبيعة ترجمة هذا النوع من الأدب الذي شاع في الساحة الفنية، فمنهم من يرى أن ترجمتها إلى اللغة العربية تعد في الحقيقة "عودة" إلى الأصل كما جاء في حديث فائزة القاسم " لم يعد الأمر يقتصر على تحويل نص من ثقافة نحو ثقافة مختلفة عنها تماما، لكن الترجمة هنا تعتبر عودة إلى الأصل بما أن الكاتب يشارك بقدر كاف في ثقافة لغة الهدف أكثر منه في ثقافة لغة الأصل "

« Il ne s'agit plus de transformer un texte d'une culture dans une autre radicalement différente, ici la traduction est comme disait madame El Qasem un retour aux sources puisque l'auteur participe autant, sinon plus, de la culture d'arrivée que de la culture de départ. »⁽³⁷⁾ (Groupe d'auteurs : 2002 : 272)

ويذهب هانري أويس Henry Awaiss في هذه المسألة إلى أبعد من ذلك فهو يعتبر "أن النص لم يخرج عن نطاقه الأصلي تماما بل كان هناك "خروج لغوي فقط" حسب قوله:

«Le texte est toujours resté dans la même maison, il n'y a pas eu de départ sauf ce départ linguistique »⁽³⁸⁾ (OP. Cit. P 271)

نستخلص من خلال ما ذكر أعلاه، أن العمل الترجمي لا يرتكز على النظرية اللغوية فحسب بل يخضع أيضا إلى النظرية الثقافية خاصة في ترجمة النصوص الإبداعية التي يطغى عليها الطابع الفني والتي من أجل فهم معاني خطابها

6. قائمة المراجع:

قائمة المراجع باللغة العربية:

- 1) أحمد زكي بدوي، "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" (إنجليزي - فرنسي - عربي)، بيروت، 1993
- 2) أسعد مظفر الدين الحكيم، "علم الترجمة النظري"، دار طلاس، ط1، دمشق، 1989.
- 3) أنيسة بركات، "أءب النضال في الجزائر: 1945 - 1962"، مجلة التآريخ، المركز الوطني للدراسات التآريخية، الجزائر، 1982.
- 4) بريهات عيسى، "ءءوء الترجمة الأءبية"، مجلة "المترجم" العءء 7، قسم الترجمة، جامعة وهران، دار الغرب، 2003.
- 5) حسام الخطيب، "ملامح في الأدب والءقافة واللغة"، منشورات وزارة الثقافة والإرشاء القومي، دمشق، 1977.
- 6) ر. م البيريس، "تآريخ الرواية الحديث"، ترجمة جورج سالم، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 1982.
- 7) سعيد علوش، "خطاب الترجمة الأءبية من الازءواجية إلى المءاقفة: المغرب الحديث (1912 - 1956)"، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1990.

Competence في كلتا اللغتين حتى يقدم ترجمة تحقق مقرؤبية والمقبولية عند الأءر.

ومن أءل تحقيق التواصل والانفءاح على الأءر، تقتضي الترجمة الأءبية على المترجم إلى جانب امتلاكه الكفاءة اللغوية The Linguistic Competence القدرة على فهم أسرار النص وفك شفرة معانيه ودلالته وذلك بامتلاكه لقدرة لغوية The Linguistic Performance لنقل النص الأءبي بكل ما يحمله من تجربة الكاتب الذاتية، كما أن عليه التءامل مع النص الأءبي حسب نوعية جنسه: قصصي، مسرحي، شعري أو روائي، لأن لكل جنس أءبي تقنياته في عملية الترجمة، لكن العنصر المشترك بين كل هذه الأجناس هو أنه يطفى عليها إلى جانب الخيال البعد الجمالي الذي يجب أن يكون متوفراً في النص المترجم بنفس درجة الإبداع الموجودة في النص الأصلي.

رغبة منا في تعزيز الوعي بنقل المخزون الثقافي، اخترنا أن تكون خاتمة هذا البحث عبارة عن دعوة للكتاب والباحثين وكذلك المسؤولين عن ميدان الترجمة في الجزائر إلى الاهتمام بالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية أو حتى تلك المكتوبة باللغة العربية، والعمل على ترجمتها بوضع إستراتيجية تهدف إلى ترجمة جميع الأعمال الأءبية، حيث تكون قائمة على توحيد الجهودات وتنسيقها ودعم المترجمين الجزائريين وتشجيعهم على النهوض بمجال الترجمة وترجمة كل ما هو أءبي إلى لغات أخرى.

لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر،
لونجمان، 2006.

(17) مولود فرعون، "الدروب الشّاقة"، ترجمة
حسن بن يحيى، سلسلة وحي القلم، دار صالح،
تلاتنيتيقت للنشر والتّوزيع، بجاية، 2005.

(18) مولود فرعون، "ابن الفقير"، ترجمة
نسرین شكري، المركز القومي للترجمة،
القاهرة، 2014.

(19) ميشال بتور، "بحوث في الرّواية
الجديدة"، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات
عويدات، الطبعة الأولى، بيروت، 1971.

قائمة المراجع باللغة الأجنبية:

20) Abdelkadir KHATIBI, « le Roman Maghrébin », Paris, François Maspero, 1968.

21) Albert MEMMI, « Anthologie des Ecrivains Maghrébins d'expression Française », Éditions Présence Africaine, Paris, 1964.

22) Georges MOUNIN, « Linguistique et Traduction », Dessort et Mardaga, Bruxelles, 1976.

23) Georges MOUNIN, « Les Problèmes Théoriques de la Traduction » Tel, Gallimard, 1963.

24) Groupe d'auteurs, « Identité, altérité, Equivalence? la traduction comme relation, » actes du colloque international tenu à l'ESIT les 24-25 et 26 mai 2000, lettres modernes Minard, Paris -Caen, 2002.

25) Groupe d'auteurs, « Ecritures Maghrébines : Lectures Croisées », Éd. Afrique Orient, 1991.

(8) عايدة أديب بامية، "تطور الأدب القصصي الجزائري 1925 - 1967"، ترجمة د/ محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

(9) عبد المالك مرتاض، "نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر : 1929 - 1954"، الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع، ط2، الجزائر، 1983.

(10) عز الدين المناصرة، "الثقافة والنّقد المقارن : منظور إشكالي"، دار الفارس للنشر والتّوزيع، ط1، عمان، 1996.

(11) كاتب ياسين، "نجمة"، ترجمة ملكة أبيض العيسى، المؤسسة العربية للدراسات والنّشر، ط2، بيروت، 1980.

(12) كاتب ياسين، "نجمة"، ترجمة محمد قوبعة، ديوان المطبوعات الجامعية، المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987.

(13) محمد شاهين، "نظريات التّرجمة وتطبيقاتها"، مكتبة دار الثقافة، عمان، 1998.

(14) محمد ديب، "الحريق"، ترجمة سامي الدروبي، دار الهلال، القاهرة، 1970.

(15) محمد مصايف، "النّقد الأدبي الحديث في المغرب العربي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984.

(16) محمد عناني، "نظريّة التّرجمة الحديثة - مدخل إلى مبحث دراسات التّرجمة"، مكتب

7. هوامش البحث:

- (1) محمد شاهين، "نظريات الترجمة وتطبيقاتها"، مكتبة دار الثقافة، عمان، 1998، ص98.
- (2) Roland BARTHES, « Le Degré Zéro de l'écriture », Éditions du Seuil, Paris, 1972, P18.
- (3) سعيد علوش، "خطاب الترجمة الأدبية من الازدواجية إلى المتاقفة: المغرب الحديث (1912 - 1956)", شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، 1990، ص231.
- (4) J.R. LADMIRAL, « Traduire : Théorèmes pour la traduction », tel, Gallimard, 1994, P15.
- (5) أسعد مظفر الدين الحكيم، "علم الترجمة النظري"، دار طلاس، ط1، دمشق، 1989، ص44.
- (6) Georges MOUNIN, « Les Problèmes Théoriques de la Traduction » Tel, Gallimard, 1963, P234.
- (7) بريهمات عيسى، "حدود الترجمة الأدبية"، مجلة "المرجم" العدد 7، قسم الترجمة، جامعة وهران، دار الغرب، 2003، ص65.
- (8) محمد عناني، "نظرية الترجمة الحديثة - مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة"، مكتب لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، 2006، ص284.
- (9) Groupe d'auteurs, « Ecritures Maghrébines : Lectures Croisées », éditions Afrique Orient, 1991 Charles BONN: « Littératures De La Colonisation, » Littérature d'Identité, ou... Littérature ? Le cas de la Littérature Maghrébine de Langue Française, P22.
- (10) Jean DÉJEUX, « Situation de la Littérature Maghrébine de Langue Française », O.P.U, Alger, 1982. P15.
- (11) Jean DÉJEUX, « Littérature Maghrébine de Langue Française », Éditions Maaman, Canada, 1973, P20.
- (12) Albert MEMMI, « Anthologie des Ecrivains Maghrébins d'expression Française », Éd. Présence Africaine, Paris, 1964, P15.
- (13) Jean DÉJEUX, « Situation de la Littérature Maghrébine de Langue Française », P27.
- (14) Albert MEMMI, OP. CIT., P16.
- (15) عايدة أديب بامية، "تطور الأدب القصصي الجزائري: 1925 - 1967"، ترجمة محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص309.

26) Jean DÉJEUX, « Situation de la Littérature Maghrébine de Langue Française », O.P.U, Alger, 1982.

27) Jean DÉJEUX, « Littérature Maghrébine de Langue Française », Éd. Maaman, Canada, 1973.

28) J.P. VINAY & J.DARBELNET, « Stylistique Comparée du Français et de l'Anglais », Didier, Paris, 1956.

29) J.R. LADMIRAL, « Traduire : Théorèmes pour la traduction », tel, Gallimard, 1994.

30) KATEB Yacine, « Nedjma », Éditions du Seuil, Paris, 1956.

31) KATEB Yacine, « Nedjma », Translated by Richard Howard, University Press of Virginia, U.S.A, 1991.

32) Mohammed DIB, « L'Incendie », Éditions du Seuil, Paris, 1954.

33) Mouloud FERAOUN, « Les Chemins qui montent », Éditions Talantikit, Bejaïa, 2003.

34) Mouloud FERAOUN, « Le Fils du Pauvre », Éditions Talantikit, Bejaïa, 2009

35) Roland BARTHES, « Le Degré Zéro de l'écriture », Éditions du Seuil, Paris, 1972.

36) Yannick Gasquy RESCH, Jacques CHEVRIER, Jean Louis JOUBERT, « Ecrivains Francophones de XX éme Siècle » Éd. Ellipses, Paris, 2001.

- (31) Groupe d'auteurs, « Identité, altérité, Equivalence? La traduction comme relation » actes du colloque international tenu à l'ESIT les 24-25 et 26 mai 2000, Paris -Caen lettres modernes minard, 2002 : Francine Kaufmann : « la traduction dans l'absence ou la mort : considérations théoriques », P325.
- (32) جورج مونان، "المسائل النظرية للترجمة"، المترجم زيتوني لطيف، دار المنتخب العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 1994، ص7.
- (33) محمد شاهين، "نظريات الترجمة وتطبيقاتها"، مكتبة دار الثقافة، عمان، 1998، ص24.
- (34) Georges MOUNIN, « Linguistique et Traduction », Dessort et Mardaga, Bruxelles, 1976. P114.
- (35) حسام الخطيب، "ملاحح في الأدب والثقافة واللغة"، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص322.
- (36) J.P. VINAY & J.DARBELNET, « Stylistique Comparée du Français et de l'Anglais », Didier, Paris, 1956.
- (37) Groupe d'auteurs, « Identité, Altérité, Equivalence? La Traduction Comme Relation », Actes du Colloque International tenu à L'ESIT les 24-25-26 Mai ; Paris ; Ed. Lettres Modernes Minard ; 2002, Henry Awaiss : « Etude d'une Relation Particulière : Traduire en Arabe l'Auteur Arabe d'Expression Française : le Cas de Georges Schéhadé. » P272.
- (38) OP. Cit., P271.
- (16) ر. م البيريس، "تاريخ الرواية الحديث"، ترجمة جورج سالم، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 1982، ص468.
- (17) مجلة التاريخ، المركز الوطني للدراسات التاريخية، 1982، الجزائر، د. أنيسة بركات "أدب النضال في الجزائر: 1945 - 1962"، ص46.
- (18) محمد مصايف، "النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984، ص277.
- (19) عايدة أديب بامية، "تطور الأدب القصصي الجزائري 1925 - 1967"، ترجمة د/ محمد صقر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982، ص54.
- (20) المرجع نفسه، ص55.
- (21) المرجع نفسه، ص72.
- (22) د. عبد المالك مرتاض، "تهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر: 1929 - 1954"، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1983، ص19.
- (23) المرجع نفسه، ص11.
- (24) عز الدين المناصرة، "الثقافة و النقد المقارن: منظور إشكالي"، دار الفارس للنشر والتوزيع، ط1، عمان، 1996، ص84.
- (25) Abdelkabar Khatibi, « le Roman Maghrébin », Paris, François Maspero, 1968, P101.
- (26) محمد مصايف، "النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي"، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984، ص237.
- (27) Jean DÉJEUX, « Situation de la Littérature Maghrébine », P87.
- (28) Yannick Gasquy RESCH, Jacques CHEVRIER, Jean Louis JOUBERT : « Ecrivains Francophones de XX ème Siècle » Éd. Ellipses, Paris, 2001, P4.
- (29) ميشال بتور، "بحوث في الرواية الجديدة"، ترجمة فريد أنطونيوس، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، بيروت، 1971، ص13.
- (30) أحمد زكي بدوي، "معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية" (إنجليزي - فرنسي - عربي)، بيروت، 1993، ص92.